مجلة الإحياء، المجلد 25، العدد: 36، جانفي 2025، ص - ص: 403-414
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

سرديات ما بعد الكولونياليّة في النّقد الثّقافيّ الجزائريّ

Post-colonial narratives in Algerian Cultural Criticism

طالبة دكتوراه فطيمة بريغت[1] أ.د/ علي خدري
Fatima BRIGHET Ali KHEDRI
كلية اللغة والأدب العربي والفنون - جامعة باتنة1
مخبر الأبحاث في التّراث الأدبيّ والفكريّ في الجزائر
Fatima.brighet @univ-batna.dz Akhedri@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2024/04/19 تاريخ القبول: 2024/11/12

الملخص:
ظلّ العالم لفترة من الزّمن يتأرجح بين دفتي قطبين، سيطرا على مختلف موازين القوى، واستعملت هذه الدّول كلّ ما في وسعها لإخضاع شعوب العالم الثّالث لها، فسارعت جميع الأطراف في بادئ الأمر للبحث عن ذريعة تبرّر لشعوبها مواقفها ضدّ ما تقترفه من اللاإنسانيّة، وكذا العنصريّة المقيتة، فلجأت بذلك للبحث في هويات مستعمراتها، والنّبش في ثقافة شعوبها، عبر ما عُرف بسرديات الكولونياليّة.
وفي هذا المقال المعنون ب: سرديات ما بعد الكولونياليّة في النّقد الثّقافي الجزائريّ؛ أردنا الاقتراب أكثر من دراسات سرديات ما بعد الكولونياليّة؛ والاشتغال حول سرديّة الهويّة وذلك من خلال نموذجين نقديين تطبيقيين لسليمة مسعودي، وعبد الرّحمن وغليسي، وهذا من أجل استكناه الأنساق المضمرة المتحكّمة في روايتي "خارج المكان" لإدوارد سعيد و"أربعون عاما في انتظار إيزابيل" لسعيد خطيبي.
الكلمات المفتاحيّة: هويات؛ ما بعد الكولونياليّة؛ نقد؛ ثقافيّ؛ جزائريّ.

Abstract:
For a period of time, the world was vacillating between two poles, that controlled the various balances of power, and these countries used everything to subjugate peoples of the Third World. At first, all the parties rushed to find a pretext for their people to justify their positions against their in human acts and abhorrent racism. Thus, they resorted to searching for the identities of their colonies and digging into the culture of their peoples through what was known as the Colonialist narratives.
In this article entitled : post-colonial narratives in Algerian Cultural Criticism ; We wanted to get closer to post-colonial narrative studies ; And work on the narrative of identity through two applied critical models of Salima Massoudi, Abd el-Rahman waghlissi, appeasement of the harmful patterns that control the two novels "out of place" by Edward Said and "Forty years waiting for Isabel" by said khatibi.
Key words: identity; post-colonial; cultural; criticism; Algerian.

[1]- المرسل المؤلف.

مقدّمة:

تشكّل سرديات ما بعد الكولونياليّة تيّارًا فكريًا، وفلسفيًا حاول التّصدي للكينونة التّوسعية، والهيمنة الاستعمارية، فكان لا بدّ من مواجهة الفكر التّوسعيّ بفكر مضادّ، مقاوم، ومفجّر لمغالق تلك السّرديات الملفّقة بشكل واضح عبر الزّمن، وهذا ما أحدث ثورة على مستوى الفكر والإبداع لدى طائفة كبيرة من المفكرين؛ وعلى رأسهم إدوارد سعيد، وخاصّة ما قدّمه من نقد واضح لسياسات الدّول الاستعماريّة، وفضحه لمشاريعها التّوسعيّة، وذلك من خلال عدّة كتب عكست فكره وتوجهاته الرّافضة لكلّ ما هو كولونياليّ، حيث لقيّ صدى واسعا من خلال تفكيكه لطبيعة الاستعمار، ورؤاه الكولونياليّة؛ كما وأنّه "قد كانت المهمّة المنوطة بهؤلاء هي التّأسيس لخطاب جديد ومناهض، منبثق من وعي ناقد مسكون بالرّغبة في التّحرر من التّجربة الاستعمارية، والتّخلص من تبعاتها، ودحض المركزيّة الغربيّة وضرب أسسها، وهدم مرتكزاتها ونقض دعائمها المختلفة وحتى الابستيمولوجية منها"[1]، وكما هو متعارف عليه أنّ نظرية ما بعد الكولونياليّة قد شملت العديد من الأفكار، والطّروحات الفلسفيّة، والسّياسيّة، وحتّى الثّقافية، والتّي تخمّرت كأفكار خاصّة بعد الاقتراب أكثر من سرديات الكولونياليّة؛ لتفجّر مختلف الصّور والأشكال الحقيقيّة عن الاستعمار، وتعكس أوجهه المباشرة، والخفيّة منها أيضا، والذّي سعى وحاول بكلّ طاقاته اللّوجيستيّة، الحربيّة والثّقافية، ضرب هوية تلك البلدان، كنوع من سلخ الشّعوب عن أهمّ ركن من كينونته ووجوده؛ حتى يتسنى له التّحكّم التّام بمصائر هذه الشّعوب.

وقد شكّلت سرديّة الهوية بذلك أهمّ القضايا النّقدية؛ والتّي انكبت عليها دراسات ما بعد الكولونياليّة، كواحدة من أبرز ما تناولتها السّرديات الثّقافية، وخاصّة ما قدّمه "إدوارد سعيد" في مذكراته "خارج المكان" والذّي وضعه كمنهاج ودستور للمشتغلين بهذا الحقل من الدّراسات، السّردية والثّقافية، وتعدّ "سليمة مسعودي" واحدة من المشتغلات والمهتمات بسرديات ما بعد الكولونياليّة، وخاصة بما قدّمته في كتابها "جدل السياقات والأنساق" مقاربات نقد ثقافية، وتركيزها حول تفكيك سردية الهوية في "خارج المكان".

وعليه فقد جالت بفكرنا عدّة نقاط اجتمعت في نهاية المطاف للوقوف عند إشكاليّة المقالة؛ أين تمحورت في أسئلة منها: - هل استطاعت النّاقدة مسعودي الاقتراب من سرديات الهويّة التّي جاءت في متن "خارج المكان"؟ والوصول إلى النّسق المهيمن في كتابات إدوارد سعيد؟ وكيف حفر عبد الرحمن وغليسي في "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" عن ذلك الحنين الكولونياليّ؟ وهل اكتفيا بالانغلاق الهوياتيّ؟

ولأجل أن تكون الدّراسة أكثر موضوعيّة فقد استعنا بالمنهج الوصفيّ التحليليّ، وكذا بعض من استراتيجيات التّفكيك، والنّقد الثّقافيّ، لأجل قراءة أكثر استيعابا لسرديات ما بعد الكولونياليّة، والتّي تتطلب انفتاحا على بعض العلوم المجاورة، كعلم النّفس والاجتماع وغيرها، ففهم السّياق يفضي لفهم أعمق للأنساق المهيمنة، وكذا البنى اللّغوية للنّصوص.

وقد اعتمدنا على بعض الدّراسات السّابقة كقضايا ما بعد الكولونياليّة في الرّواية العربية المعاصرة للدكتورة سلايمية يمينة وغيرها؛ وتهدف مقالتنا هذه من خلال الإشكاليّة المطروحة الانطلاقة من فرضيّة أنّ سرديّة الهويّة في "خارج المكان" واكبت تطورات ثقافيّة، وظّفها إدوارد سعيد لأجل إيصال فكرته حول ضرورة الهجنة الهوياتيّة، والخروج بالذّات ما بعد الكولونياليّة من مأزق ثقافيّ هوياتيّ، في حين عمل عبد الرّحمن وغليسي على تعريّة النّسق الكولونياليّ، وكشف حقيقة التّبعيّة الثّقافيّة للغرب.

أوّلا: نظرة حول تأسيس الدّراسات ما بعد الكولونياليّة

1- جهود إدوارد سعيد:

لعلّه من المعلوم بأنّ "النّاقد والفنان والمفكّر الفلسطينيّ إدوارد سعيد، قد اقتحم في النّصف الثّاني من القرن العشرين الثّقافة الأنجلوساكسونيّة بكتاب "الاستشراق" والذّي عدّ فتحا معرفيا ولغويا، وترجم إلى لغات عدّة ومازال ضمن قائمة الكتب المليونية"[2]، فتصدّر بذلك "إدوارد سعيد" رأس قائمة طويلة من المفكّرين المنحازين لدراسات سرديات ما بعد الكولونياليّة؛ حيث "افتتح نوعا جديدا من دراسة الاستعمار يحاجج سعيد أن تمثيلات "الشّرق" في النّصوص الأدبيّة الأوروبيّة، والمحاضرات المصوّرة للرّحلات وكتابات أخرى ساهمت في خلق انقسام بين أوروبا "والآخرين" التّابعين لها، وهو انقسام كان مركزيا في خلق الثّقافة الأوروبيّة، بالإضافة إلى المحافظة على الهيمنة الأوروبيّة وتوسّعها على امتداد أراض أخرى، إنّ مشروع سعيد يتمثل في إظهار كيف أنّ "المعرفة" حول الأوروبيين كانت جزءا من عملية السّيطرة عليهم"[3]، وكلّ ذلك تأتى للغرب من خلال ما قام به من دراسات الثّقافات، والعادات والتّقاليد، وحتّى سيكولوجية هذه الشّعوب، ليستخدمها لضرب الهوية على اختلاف درجاتها، ومن ثمة السّيطرة المطلقة على الشّرق بجميع أطيافه.

2- وجهات نظر بعض المثقفين الغربيين:

وقبل اهتمام إدوارد سعيد بخطابات الاستعمار والتّعمق فيها، كان "الهندي بيبين شاندرابال" قد قال ما يشبه هذه الفكرة إنّما بشكل أقل تنظيرا"[4]، إلى جانب ما قدّمه أيضا "فرانز فانون" من إدانة واضحة للاستعمار، وبأنّه دولة ازدهرت نتيجة تعب وعرق شعوب، وكذا خيرات وثروات المستعمرات، وحتى أنّ كلّ ما قام به المستعمر كان على مرأى النّظر، ومكشوفا لبني جلدته من مثقفيه، ونخبه المحسوبة على السلطة كما توضحه هذه العبارة "إنّ المثقفين الغربيين أمثال ثيودور أدورنو ووالتر بنيامين، وحنا أرنيت قد اكتشفوا أيضا الرّوابط بين الإنتاج الفكري للعالم الاستعماري وهيمنته الكونيّة النّاميّة"[5] وما نسجُها للسّرديات الكبرى، وهنا نفتح قوسين للإشارة بأنّ هذا المصطلح ظهر عند "جان فرانسوا ليوتار سنة 1984، حين زعم أنّ ما بعد الحداثة تفتقد الثقة بالسرديات الكبرى"[6]، إذن تلك التّلفيقات التّي استعملوها كأوراق ضغط على الجبهتين لم تكن خفيّة عن النّخب المثقفة أمثال: هومي بابا، جياتريسبيفاك، فرانز فانون، ميشال فوكو وغيرهم.

ونجد بأنّ تودوروف هو الآخر غيّر من رؤيته الأحادية للسّرديات؛ وتجاوز الوصف البنيويّ نحو عملية التّأويل، والحفر حول تاريخ الشّعوب والقبائل ولأنّه "وابتداءً من الثّمانينات سينخرط رائد الشّعريّة تودوروف، بعد تعرفه على أعمال النّاقد الثّقافيّ إدوارد سعيد في الأفق الثّقافيّ التّاريخيّ الجديد، حيث سينتقل إلى الاهتمام بقضايا التّمثيل والغيرية الثّقافية وصور الآخر... يستند إلى التّاريخ وتحليل الخطاب والاستراتيجيات التي ينتج بها معناه، من أجل إيديولوجية العصر، وذلك في إطار رهان تنويري يسعى إلى المساهمة في فهم مشاكل الحاضر، في سياق مشروع تاريخيّ"[7]، فأغلبية هؤلاء المفكّرين تضافرت جهودهم، وانصبت في محاولة تفكيك ذهنيات الاستعمار، ومقاومته معتبرينه مصدرا للعنف والإرهاب الحاصل في العالم، إذ شكّلت أفكارهم نوعا من المقاومة الفكريةّ لجميع أنواع الخطابات المركزيّة.

وعليه نشأت ضرورة ملّحة فرضت على المثقف المنتمي للبلدان المستعمرَة، وحتى المتحرّرة، وما تزال تحت وطأة التّبعية لمستعمرِها، البحث والنّضال من أجل استقلال حقيقيّ لا يتأتى إلّا من خلال استقلال ثقافيّ، والتّخلص من الهيمنة الغربيّة؛ من أجل استرجاع الذّات والهويّة التّي سُلِبت منه عنوة،

حتى يضمن لأبناء وطنه الافتخار بانتمائه وهويته الوطنيّة؛ والتّي لا تتأتى إلا من خلال تفكيك مركزيّة الخطاب الكولونيالي "وانطلاقا من أهمية الوعي النّقديّ بالآخر في كلّ ممارسة نصيّة، تُطوِّرُ القراءة ما بعد الكولونياليّة استراتيجيات متحرّرة من مركزيّة النّظرية الغربيّة"[8]، وبالتّالي حاولت هذه الدّراسات المابعد الكولونياليّة خلق استراتيجيات خاصّة بها، لأجل تفكيك كلّ تلك السّرديات الأوروبيّة، مستغلّة ما من شأنه أن يقدّم إضافة وتفسيرات أكثر شموليّة، مستعينة بمقولات فلسفيّة، وأخرى ثقافيّة.

كما استعانت بتفكيكية ديريدا، والتّي أفادت في تفجير تلك السّرديات القائمة على تأنيث السّلطة الحاكمة لتلك الشّعوب فصورتها على هيأة المرأة الجميلة والثّرية "مثل هذه الفروقات لم تكن تعني بأنّ النّساء الشّرقيات وأراضي الشّرق لم يتم تمثيلها كحقل بديل يمكن نشر السّلطة الاستعمارية فيه، غير أنّ الأوروبيين كانوا في ذلك الوقت على الأغلب متوسلين أمام الحكام الأشداء في آسيا، وكان من الصّعب بمكان أن يرمزوا لأنفسهم على أنّهم المغتصبين الذّكور لعذريّة الأرض المؤنّثة، وهكذا نشأت استراتيجيات خطابيّة بديلة، خُنّث الرّجل الشّرقيّ، وصوّر على أنّه لواطيّ أو شرير شهوانيّ يمكن للأوروبي المكتمل الرّجولة والأقوى والمؤدّب أن ينقذ منه المرأة المحليّة"[9]، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على دهاء ومكر من طرف المستعمر الذّي يحاول تشويه اليقينيات وإبدالها بأخرى من صنع تهيؤاته وأطماعه.

كما وأنّ إدوارد سعيد قد اصطلح على هذه القراءة التّفكيكية لبنيات السّرد الرّوائي الأوروبي "بالقراءة الطّباقية contrapuntal reading التّي تقرأ النّص بوعي متزامن يفرض على النّص ازدواجا خطابيا، يتيح له قراءة ما هو مسكوت عنه"[10]، ونجد تقاطعا واضحا بين هذا المصطلح وقصيدة للشّاعر الفلسطيني "محمود درويش" كتبها في رثاء إدوارد سعيد تحمل عنوان طباق؛ حيث أجاد وصف حالة من تشتت الذّات بين المكان كوطن ومنفى، وتأثيره في الهوية، حيث أبان أنّها في نهاية المطاف هي ابنة الأرض التي أنجبته، فالإنسان يبقى وفيا للهوية الأولى، رغم ممارسته للكتابة بألسنة الغير إلا أنّ روح ما يكتب تظل عربية.

ثانيا: القراءة ما بعد الكولونياليّة

1- كسر أفق الانتظار: كما وضحنا سابقا فإنّ رواية ما بعد الكولونياليّة عبّرت عن حالة الرّفض للقبليات، وبذلك جعلت النّقد يبحث عن نظريات ومناهج يقارب بها هذه النّصوص؛ التّي تضمر أكثر ممّا تفصح وتبوح به، وبات من الضّروريّ مواكبة هذه التّغيّرات على مستوى البنيّة الشّكليّة، بمناهج ذات طاقة استيعاب أوسع لمكامن الجماليّ فكانت "التّأويليّة ونظريّة التّلقيّ أو التّقبل، والنّظريّة التّفكيكيّة والنّظريّة النّقديّة لمدرسة فرانكفورت، ونظرية النّقد الثّقافيّ والنّظريّة الثّقافيّة والنّظرية الجنسيّة ونظرية الجنوسة، والنّظرية التّاريخانيّة الجديدة والنّظرية العرقيّة، والنّظرية النّسويّة والنّظرية الجمالية الجديدة ونظرية ما بعد الاستعمار، ونظرية الخطاب (ميشال فوكو)، والمقاربة التّناصية والمقاربة التّداولية"[11]، وقد سَعَت جلّ هذه النّظريات للوصول للمعنى، ومعنى المعنى المتخفي وراء اللّغة.

فقد شكّلت العديد من روايات هذه المرحلة ظاهرة خاصّة بكسرها أفق توقع القارئ/ الجمهور الذّي اعتاد على نمط معيّن من النّصوص الرّوائية السّرديّة، فالانشغال على طرح روايات ما بعد الكولونياليّة لازمته في الجانب الآخر حركة التّلقي، حيث عكف النّقاد البحث في هذه النّصوص الغير مألوفة والمدهشة بتقنياتها الفنيّة، وخرقها لنمطيّة النّص المكشوف؛ حيث تضافرت مع اللّعبة السّرديّة فقدّمت انزياحها الذّي أوقع المتلقي في مصيدة التّوتر/الفضول ، ممّا جعل الاهتمام يتزايد والتّلقي النّقديّ يستمر حتى بعد سنوات

من إصدار بعض تلك الرّوايات؛ فعلى سبيل المثال تقول كريمة بلخامسة "شكّلت رواية نجمة ظاهرة في أعمال كاتب ياسين، وقد أظهرت حركة التّلقي في سيرورتها عبر الزّمن مدى اهتمام القراء بمختلف انتماءاتهم عبر العالم بهذا النّصّ، حيث استحوذت على أغلب القراءات السّابقة ولا تزال إلى الوقت الحاضر تثير تساؤلات القارئ وتلفت انتباهه وقد تبيّن لنا مع ردود فعل القارئ الفرنسيّ ومع التّلقيات المتعاقبة انكسار وخيبة أفق انتظارات القراء من جهة، وانبهارهم بهذا العمل الإبداعيّ من جهة اخرى"[12].

وقد يعود هذا الأمر للبنيّة النّصية والسّردية للرّواية؛ والتي صنعت هذا الجدل الواسع، والاهتمام الكبير بحكم خروجها عن المألوف وتحطيمها للتّقاليد الرّوائيّة والأدبيّة المتعارف عليها؛ ومن جهة أخرى "قد يتغيّر أفق القارئ عندما لا يستجيب العمل الأدبي الجديد لأفق انتظاره المألوف وهذا يخلق ما يسميه ياوس الانزياح الجمالي وبالتّالي تُربط القيمة الجماليّة للنّصّ الجديد بدرجة انزياحه، وبمدى تعطيله للتّجربة السّابقة، وتحرير الوعي من الفكر السّائد، وزعزعة المعايير، وفتح المجال لرؤى جديدة"[13]، فالقارئ متعطّش لتلك النّصوص؛ التّي تجعله يعيد معايشة التّجربة، بكلّ ما تحمله من طاقة شعوريّة ووجدانيّة، وخروج من الرّتابة إلى نوع من المغامرة والشّغف الذّي يفضي للوصول لحالة من التّماهي داخل المتن الرّوائي؛ وبالتّالي فإنّ للنّقد على مرّ المراحل تلقيات مختلفة لنفس العمل، قد تتغيّر أو تثبّت وجهات النّظر، وكذا جملة المتغيرات، والظّروف الاجتماعيّة، والفكريّة، والثّقافيّة؛ فما كان مقبولا ومرغوبا في فترة ما، يصير مُنفِرا وغير ممتع وهكذا "نستوعب طبيعة العلاقة التّي تقيمها مختلف الأعمال الأدبية مع آفاق الانتظار المستقرّة بحيث تكون مجرد إعادة إنتاج لها أو تعدّلها أو تنحو إلى خلق آفاق انتظار أخرى جديدة تماما"[14]، فكسر أفق الانتظار يتطلّب تجاوز آفاق انتظار مستقرّة تجاوزها الزّمن.

2- بناء النّصّ من جديد عبر ثنائيّة الحضور والغياب: إنّ الانفتاح على المناهج والنّظريات المابعد نسقيّة، مكّن النّص الرّوائيّ من البروز والظّهور أكثر من أيّ جنس أدبيّ آخر، ولعلّ الأمر يعود إلى مختلف القراءات والمقاربات؛ التّي تعيد بناء النّص الرّوائي من جديد عبر تحرير الدّال والمدلول من العلاقة الاعتباطية "وهكذا أضحت مهمّة النّقد تنهض على أسس ترفض ذلك التّلازم الذّي يربط بين الدّال والمدلول، ويؤكّد على أهميّة التّعدد والاختلاف، في ضوء ذلك، يتمّ تحرير العلامة اللّغوية من تلك العلاقة القائمة على وحدة الفهم، وفكرة الحضور، والمدلول المتعالي، وهي الغاية التّي يتطلّع إليها أنصار ما بعد الحداثة"[15].

ومنه فإنّ زاوية القراءة والتّأويل تنفرج، وتتّسع مع هذه المناهج المابعديّة؛ ويتحرّر الدّال من أحادية المدلول، ويعطي عدّة مدلولات، وبالتّالي عدّة قراءات، ومنه يعاد بناء النّص وفق تلك التّأويلات التّي تستقي مرجعيتها من نصوص موازية، ومتعالقة، وأخرى مضمرة؛ والقارئ الفطن من يتمكّن من إعادة تشكيل مسارات الرّواية وتفجير مغالقها "وهذا ما جعل جاك دريدا يؤكّد على أن القارئ يمثل البؤرة أو الرّكيزة أو الذّات التّي تعيد بناء النّص من جديد بتشكيل معالمه عن طريق ثنائيّة الحضور والغياب لأنّه ليس ثمّة معنى واحدا ثابتا وقارا، وفي هذا إشارة واضحة إلى أنّ النّصّ لا يحمل معنى مركزيا متعاليا، يمنحه خصوصيّة واستقلاليّة، بل هناك توالد للدّلالات والمعاني التّي لا تعرف الاستقرار والثّبات"[16]، فيشبه بذلك النّصّ الفسيفسائيّ العصيّ عن كلّ تفسير.

فالنّاقد يمارس فعل القراءة، وكذلك إعادة إنتاج النّص من جديد، فأيّ قراءة تفضي لنّصّ آخر، فالمعنى هنا يسير وفق علاقة تراتبيّة غير منتهيّة ساهمت في ذلك "القراءة الاستكشافيّة الدّاخلية للنّصّ

والخطاب وزحزحة الإشكاليات الأساسيّة، وقراءة الحفر والتّعريّة وبتعبير آخر تتمّ عمليّة التّفكيك باكتشاف الأجزاء المهمّشة والمخفيّة والمطموسة في نصّ أو خطاب ما وفرز هذه الأجزاء المخفيّة بعد نبشها ونشرها على طاولة التّشريح والتّحليل والتّقويض لمعرفة كيف تمارس دورها ضمن البنيّة العامّة للفكر"[17].

وأنّ الفهم لهذه الدّلالات يتجاوز التّأويل الذّي ينتهي عند معنى محدّد؛ فهنا لا يمكن قبوله كمعنى نهائيّ "لأنّ الفهم بمعناه الواسع مرتبط أساسا في دوائر الاشتغال المابعد حداثيّ بفكرة مركزيّة مفادها تخطي التّأويل الذّي يتمفصل في تحديد الدّلالة بصورة نهائيّة على اعتبار أنّ عمليّة الفهم بنيّة من بنيات العمل الفنيّ بصفة عامّة والأدبيّ بصفة خاصّة ، ممّا يضفي على النّصّ التّجدّد والاستمرار من خلال تاريخيّة تلقيه عبر الزّمن"[18].

فإنّ بناء النّصّ من جديد يتأتى من خلال الدّور المنوط بالنّاقد الفذّ؛ الذّي منحه إيّاه الكاتب، وخطّه عن قصد منه أو بغيره "ويلعب المؤلّف إزاء كلّ هذا دور المشرّع والموجّه من خلال المقاصد التّي يروم الوصول إليها، على أنّها حقائق مطلقة متوقفة في جوهرها على استجلاء مضامينها؛ بالعودة بها إلى الأصل والمصدر، بحيث يتلقاها القارئ بكلّ وضوح وشفافيّة، وتأسيسا على ذلك يصبح المتلقي مجرد مستهلك لتلك الرّسالة، لا ذاتا مستقلّة منتجة لها دورها الفعّال في تشكيل الدّلالة"[19]، فيعمل النّاقد على البحث عمّا هو مغيّب في النّص، كون اللّغة ذات دلالات كثيرة، من شأنها إعادة إنتاج نصّ كان مغيّبا داخل النّص الأوّل.

3- حيوات جديدة للنّص بتعدّد التّأويل: يقدّم التّأويل استراتيجيّة جدّ مهمّة للقبض على مكنونات مختلف النّصوص، من حيث أنّه يعمل على تفسير القيّم المتخفيّة "فمحكّ التّأويل والبحث في وجوه المعنى هو ذلك الجهد المضني لتشفيع المعرفة القبلية في الصّراع مع مستغلقات المتن الذّي يأبى ويتمنّع، لأنّه حامل بمضمرات الأنساق الاجتماعيّة والثّقافيّة وغيرها من مستويات الخطاب"[20]، وعليه فإنّ الجمهور المتلقي يستغل مرجعياته المختلفة؛ لأجل فكّ شفرات النّصّ والتّفاعل معه، سواء بتأويله وإعادة إنتاج نصوص متعالقة معه، وإعطائه حياة أخرى؛ فالنّص الذّي يدرس ويقارب ويؤوّل يمتاز بخاصيّة التّجدّد، والانبعاث على غرار النّصوص التّي تظلّ حبيسة الأدراج ورفوف المكتبات.

فكُلّما اهتمّ الجمهور برواية ما، وكثر الجدل حولها، تحوّلت لظاهرة أدبيّة، وتتفرّغ عندئذ الأقلام النّقديّة، وكذا الأصوات الإعلاميّة للحديث عنها، وتبيان قيمتها الجماليّة، وتحاول فكّ تلك الأفكار التّي تبدو وكأنّها ألغاز، أو حديث مُبهم يحتاج تفسيرا وتأويلا؛ وكما هو معلوم أنّ التّأويل أعمق من التّفسير حيث يقول شليرماخر: "مهمّة الهرمينوطيقا تتغيّر باستمرار والتّفسيرات كلّها تحثّ فقط على السّعي لتحصيل رؤى جديدة وعلى الدّخول في محادثات متجدّدة كما لو كنا نتسلّق جبلا، وحين نظن أنّنا وصلنا إلى القمّة، تدرك فقط هناك، أنّ هنالك قمّة أخرى أعلى وراءها، تختبئ وراء شعورنا المؤقت بالنّصر، لقد ضاعت قمّة الهرمينوطيقا النّهائية في الغيوم إلى الأبد"[21].

فالمعنى بذلك يظلّ بعيدا وكلّما أوهَمنا بالوصول إليه، أبان عن معنى جديد؛ وهكذا في سياق البحث عن المعنى نصل للبحث عن معنى المعنى، لتتوّلد نصوص، وتتجدّد وتحيا، في حركة مستمرّة، تجعل من النّصّ الأوّل نصًا يمتلك حيوات متعدّدة عبر الزّمن "فعند انتقال النّصّ من سياق تاريخيّ أو ثقافيّ إلى آخر نجده يكتسب دلالات جديدة لم تدُر بخَلَد المؤلّف ولا متلقييه الأوائل، كلّ تأويل يعتمد على السّياق، وهو مرتبط بمعايير تنتسب لسياق تحقّقه، مع استحالة معرفة أو فهم معنى النّصّ في حدّ ذاته"[22].

إذن فالقراءة الواعية تمنح النّص الخلود، وبالتّالي يصبح الجمهور أمام نصوص خالدة تساهم في إرساء ونقل القيّم الجماليّة من عصر لعصر، وهذا يتجسّد عن طريق تضافر وتكامل كلّ من السّينما، والمسرح والتّلفزيون مع الرّواية؛ التّي تتحوّل عبرهم من مجرد نصّ ورقيّ، إلى عمل سمعيّ بصريّ يتفاعل الجمهور معه ليمنحه الحياة بشكل أكثر فاعليّة من بعض المقاربات النّقديّة.

ثالثا- تشكّل الهوية في "خارج المكان" من منظور جدل السّياقات والأنساق للدكتورة سليمة مسعودي

يقدّم هذا الجزء دراسة في نقد النقد، وذلك بقراءة في ما قدمته الدكتورة "سليمة مسعودي"، وخاصّة في الفصل الأوّل المعنون ب: الخطاب الثّقافي وأسئلة الهويّة والمنفى "خارج المكان" لإدوارد سعيد أنموذجا قراءة في ضوء السّرديات الثّقافية، من كتابها جدل السياقات والأنساق مقاربة نقد ثقافيّة في السّيرة الذّاتية والسّرد الرّوائي والعقل الدّيني، وقد اشتغلت النّاقدة من خلال ما يقارب ستة وخمسون صفحة بالحفر والاقتراب من سّرديات الهوية التّي اكتنزتها مذكراته "هذه السّيرة الذّاتية "خارج المكان" ليست حكاية فرد، بل هي تجربة اقتلاع شعب من مكانه ووطن من مكانه، وتشتيته عبر العالم وخارج المكان، ومحاولة تزييف ذاكرته الفرديّة والجماعيّة، وتغييب تاريخه عبر هولوكست حقيقية، هذه التّجربة جاءت من خلال فكر نقديّ استشكالي تساؤلي تفكيكيّ، يحفر في أركيولوجيا الذّاكرة ومعاناة التّجربة الحقيقية، وهو ما يفضي إلى الكشف عن انجراحات خطيرة في الهوية، تأتي من الشّعور بالاختلاف عن الغير، والشّعور بالمنفى واللانتماء"[23]، وهنا يتّضح جيّدا استكناه البعد النّفسي، والذّاتي لإدوارد سعيد ومدى تأثيره وإسقاطه في كتاباته السّردية، وكذا الفكرية، إنّ اللاشعور الجمعي المتجذّر في عمقه، ساهم في ظهور شخصيّة فكرية فاعلة على المستوى العالمي، وتجلت أكثر في التّعلق والتّمسك الكبير بالهوية العربية، على الرغم من احتكاكه بهويات أخرى، فظلّت الهوية الأولى قِبلة له، وملاذا يفرّ إليها متى ما أملت ذاته عليه هذا، في محاولة إعادة إعمار تلك الذّات المستلبة حينا والمقيّدة الحين الآخر بسرديات كبرى ولّدت لديه الشعور باللانتماء في كثير من الأوقات.

لتضيف "سليمة مسعودي" في مقاربتها حول الكتابة كحياة وذات وهوية فتقول: "يستعين إدوارد سعيد بكتابة المذكرات كفاعلية سردية ضد الموت، وكجدوى سرد ما بعد كولونيالي، وكنوع من المقاومة ضدّ إماتة الهويات، فترك قبل موته "خارج المكان" خارطة تاريخية أركيلوجية، تبحث في الشّخصي ّوالتّاريخي، لتؤسس لأهمّ المفهومات الثّقافية"[24]، وعليه فإنّ بروز الهوية الذّاتية في "خارج المكان" قد عكست فاعليّة سرديّة الهويّة؛ التّي وظّفها كنسق مضمر، يقترب من السّطح متى ما تمّ الحفر حوله.

وأمّا الشّعوب التّي تعاني أنواع الغربة المكانيّة الحقيقيّة/المجازيّة، فهوياتها الجماعيّة تتكوّن عبر المرويات والسّرديات حسب "محمد بوعزة" "إنّ الهويّة الذّاتيّة تتشكّل في مجازات السّرد كما تؤكّد هيرمينوطيقا بول ريكور، وتكتسب الأمم هوياتها الجماعيّة عبر قوّة السّرد، "فالأمم مرويات وسرديات"، كما يوضح النّقد الثّقافي، وقد تشكّلت في مرحلة الكولونياليّة خلال النّصف الأوّل من القرن العشرين هويّة أكثر من "ثلاثة أرباع شعوب العالم" في إفريقيا وآسيا وكندا وأمريكا اللاتينية وأستراليا وجزر الكاريبي، بفضل "سرديات التّحرر الوطني"[25]، فالسّرد يعتبر إحدى الاستراتيجيات الخطابيّة للذّات في صياغة هويتها، عن طريق تأكيد الاختلاف مع الآخر؛ الذّي يمثل في غالب الأحيان مركز قوّة وخطر.

وفي الجهة المقابلة يتمظهر دور النّقد في البحث عن حلول لمواجهة هذه السّرديات الكبرى بأخرى صغرى فتقول "مسعودي" "إنّ القضية أزمة تتجاوز اختلاف ثقافات إلى اختلاف هويات، وإلى حرب

حقيقية بينهما، في صراع على المكان يتحوّل البحث فيه عن الأمكنة المفقودة إلى بحث عن الهوية والمصير، ومأزق للوجود، وتصير ضرورة تشكيل الهوية كسردية فردية صغرى درعا وقائيا ضد العدمية والذوبان أمرا حتميا لا مناص منه... هذه الكولونياليّة هي التّي استلبت من إدوارد سعيد وطنه ومكانه وهويته"[26]، هذا التّفكيك للكولونياليّة يعيد صياغة عناصر تشكّل الهوية من عدمه، فالشّعوب بقدر تمسكها بمكانها/وطنها تستطيع الحفاظ على هويتها، فلا هوية بدون أرض، وشعب، ومرويات تتلقّفها الحكايات الشّعبيّة في الأسواق، والولائم وغيرها من التّجمعات، ففقدان جميع هذه العناصر ينجرّ عنه فقدان السّرديات الصّغرى، وبالضّرورة انسلاخ عن الهوية الأمّ، وذوبان وتماهي في هويات الآخر.

والنّقد يمارس سلطته على المنجز الرّوائيّ، فيستقى ويستخلص بيئات وظروف، وحياة من سايروا تلك المرحلة، فيحلّل يفكّك البنى المشكّلة للنّص في تناغم جميل مع النّصوص التّراثية الأصيلة، واستطاع النّقد الثّقافيّ، ونظريات ما بعد الاستعمار رصد الكثير ممّا لم يقله النّص والحفر في عمقه، وكذا القبض على الأنساق المهيمنة في فترة ميلاد النّص، ونستطيع القول إنّ النّقد المابعد حداثيّ يستطيع استيعاب مختلف السّرديات العربيّة، وذلك لانفتاح زوايا التّأويل، وحرية القراءة وتعدّدها.

كما وقد ركّزت "سليمة مسعودي" في قضيّة الهجنة والهويّة، والتّي انطلقت من تحليلها لطبيعة الشّخصيّة الإنسانيّة، وميلها لحبّ الظّهور والتّميز، فمعيار الاختلاف أصدق معيار لذلك، فوحدهم الأشخاص المختلفون عنه، يمثّلون المؤشر الذّي يقيس درجة التّميّز من عدمه، ومن هنا توضّح ضرورة الانفتاح على الآخر "إنّ تفكيك إدوارد سعيد لمفهومات الهوية يأتي في سياق نظريّة متكاملة، تقارب الهويّة عبر حوار مصائر الشّعوب الأصلانيّة ... ليؤكّد أنّ كلّ هوية تحمل في ذاتها عناصر ثابتة، وأخرى متحوّلة... وتنفتح على الهجنة والتّعدد، ولا تبقى حبيسة الثقافات الجزئية"[27]، وتعلّل ذلك بسب حياته التّي عرفت عدّة تنقلات بين بلدان مختلفة، وأيضا احتكاكه بثقافات تلك الشّعوب، ما ساهم في إقراره بهجنة الهوية ما دامت السّرديات الكبرى قد طالها الشّك، وبدأ تصحيح تلك النّماذج النّمطيّة المتولّدة بفعل الاستشراق.

ولم يغفل النّقاد عمّا يقوله علم النّفس عن أنّ لكلّ فرد نفسيّة خاصّة وهو بمعزل عن غيره ونفسيّة أخرى وهو مندمج في جماعة من الجماعات؛ ونأيّ جماعة نظاميّة أو غير نظاميّة مؤقّتة أو دائمة لها خصائص وسمات تميّزها عن غيرها من الجماعات، فصحّ عندهم أنّ للجماعات أدبا كما للأفراد، وأنّ الأدب الجماعيّ لا يقلّ في الأصالة والدّلالة عن الأدب الفرديّ، وهو إذا كان صالحا في ذاته للتّذوّق والنّقد، فهو من ناحية أخرى وثيقة من أعظم الوثائق للباحثين في علميّ الاجتماع والإنسان"[28]، وبالعودة إلى الهوية المستمرة التّغيّر وإسقاطها على النّص الرّوائي العربيّ المابعد كولونياليّ، الهجين من حيث توظيفه للهجات العامية والكلمات الأجنبية، ويعتبر هذا انعكاسا للذات في الرّواية، وقد يتساءل سائل كيف لهذه النصوص التي لا تكتسي فصاحة لغوية، ولا تقنيات فنيّة كما هو ظاهر للعيان، وشائع للعوام أن تقارب على سبيل المثال مقاربة تفكيكية، حيث يخضعه لإعادة إنتاج مدلولات ومعاني حديثة يمثل التّفكيك نظريه نقديه شامله تبغي إعادة قراءه النّصوص الفلسفية والمعرفية والثّقافية والإبداعية المتنوعة ويرى أن تلك النصوص تخضع لعمليات معقده ناتجه من علاقات النّصوص المتناصة بعضها مع البعض الآخر ويعدّ تراجع البنيوية ناتج عن فشلها تحديد السّمات الكلية لحركة الدّوال ومراهنتها علي تموضع البنى في أنساق تحيل إلى مدلولات متعدّدة نهائية وتوصف بأنّها محدده فضلا عن عدم إعطائها منزله فاعله للمتلقي

لأنّ النّص عندها هو من يقدّم المعنى إلى متلقيه، ويمارس دور الفاعل والمفعول في الوقت نفسه فكسب المعنى من جانب المتلقي مرهون بما يتيحه النّص ببنائه وتعدّد أنساقه وحركة بنياته وانتظام تراكيبه"[29].

وهذا ما حاولت "مسعودي" تتبّعه في "خارج المكان" من خلال سرديّة الهويّة؛ حيث ركّزت على إعمال الفكر؛ وتفجير الدّلالة ومجموع الدّوال إلى معان ونصوص جديدة، تطرح رؤى متناغمة مع ما ينضوي عليه النّص الأوليّ، أو تبني قراءة تتقصى وترجئ توالد معاني مخالفة للمألوف وهذا الأمر يدفع القارئ إلى العيش داخل النّص والقيام بجولات مستمرة لتصيّد موضوعيّة المعنى الغائبة، وترويج المعنى - حسب ديردا- يخضع دائما للاختلاف، والمعنى من خلال الاختلاف يخلق تعادلات مهمّة بين صياغات الدّوال والاطمئنان النّسبي إلى اقتناص الدّلالة"[30].

رابعا- اللّاشعور الكولونيالي وسؤال الهوية عند سعيد خطيبي في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" لعبد الرحمن وغليسي

بالتّوقف عند عنوان الكتاب النّقديّ "العين الثّالثة تطبيقات في النّقد الثّقافي وما بعد الكولونيّ" وكعتبة أولى سنرى أنّه يقدّم حمولة فكريّة، وثقافيّة ضاربة في العمق فالشّائع أنّ الجميع لديهم عين ثالثه، لكن عددا محدودا منهم يتمكّنون من فتح هذه المرآة الدّاخلية، ولن ينجح الجميع في التّعامل مع ما يتّبع عمليّه فتح العين الثّالثة على ما حولهم (كيف تفتح عينك الثّالثة) وكأنّ اختيار العنوان هنا ما كان محض صدفه؛ وإنّما أتى ليتمّ مقصديّة المقاربة النّقديّة، كونها عمليّة بحث عن أنساق ومضمرات، وتعريّة المتّخفي في عمق النّصوص المشتغل عليها.

العين الثّالثة كتاب نقدي يحمل عشرة مقالات نقديّه، جاءت كتطبيقات في النّقد الثّقافيّ وما بعد الكولونياليّ، ومن الواضح أنّ سبب اختيار "العين الثّالثة" جاء كردّ فعل حول تسمية الأسماء بمسمياتها، وكما هو معلوم أنّ محلها العقل –العين الثّالثة- كما تم تصنيفها على أنّها الغدة الصنوبرية أسفل رأس الإنسان، والمسؤولة عن سلوكاته، أو هي النّقطة الموجودة منتصف الجبهة، وهي تُطابق الناصيّة، أو عين العقل، ونجدها متداولة عند المتّصوفة، وغيرهم من هواة علم الطّاقة – هذا إن استطعنا أن نطلق عليه علم- وبما أنّ النّقد الثّقافي أتى كبديل عن النّقد الأدبيّ، أو مكمل له فمن الواضح أنّ التّطلع إلى ما حولك من خلال عينك الثّالثة أمر معقد للغالية، حيث ستتمكّن من رؤية الواقع على ما هو عليه دون زيف، وفي بعض الأحيان لا تكون الحقيقة ما نرغب حقا في اكتشافه، أين يخالف الواقع جميع توقعاتنا ورغباتنا، فهل يا ترى استطاع الدّكتور عبد الرّحمن وغليسي كشف بعض من الحقيقة المواربة في متن رواية جزائريّة صنّفت بأنّها ما بعد كولونياليّة؛ والتّي عنون لدراسته تلك بـ: اللاشعور الكولونياليّ وسؤال الهويّة عند سعيد خطيبي في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل".

وقد سلّط الضّوء حول تجربة الرّوائي الجزائريّ "سعيد خطيبي" الذّي حاول مناقشه قضيّه الهويّة/ الاختلاف والمستعمِر/ المستعمَر ؛ وذلك من خلال استدعاء شخصيات حقيقيّه عاصرت الاستعمار الفرنسيّ وإسقاطها في واقع جزائر ما بعد الاستقلال، للبحث عن حقيقة الانفلات من الهويّة الفرنسيّة وبناء هويّة جزائريّة يتوسّل "سعيد خطيبي" هذا الجنس الأدبيّ المنفتح على مختلف الأجناس الأدبيّة الأخرى لتأسيس "رؤيته للعالم" ومراجعة القضايا المتعلّقة بالتّاريخ والهويّة ومساءلة السّرديات الكبرى، ونقاط خلافيّة كثيرة في حياة المستشرقة "إيزابيل إيبرهات" وعلاقتها الإشكاليّة بالإدارة الفرنسيّة، وموقفها المزدوج/الغامض فيما يخص مناهضتها وتأييدها للإمبراليّة الغربية في آن واحد"[31]، وهنا يطرح التّساؤل الهوياتيّ لإيزابيل الحقيقة/المتخيّلة، والمستدعاة كبطلة للرواية، وهذا يجعلنا نبحث في شهادات لبعض

الدّارسين لحياتها وأدبها حيث نجد محمد رشد الباحث الجامعي المختص بايزابيل وكتاباتها يعلن في محاضرة ألقاها بمناسبة إحياء ذكرى مئويتها... لقد لعبت إيزابيل إيبراهارت دورا مهما، حتى لا أقول أساسيا في اهتدائي واندماجي في هذا البلد"[32].

تعتبر إذن شهادة من أهل الاختصاص الذين اقتربوا أكثر من مسيرتها، وشاهدوا لها بالوطنية والانتماء إلى الهوية الجزائرية والإسلامية، وبذلك صنعت التّميز والطفرة والاختلاف الذي يرجع إلى أنّ مبدأ الهوية يوفر للعقل البشري انسجاما مع الذات فيمنعك من الاختلاف مع نفسك فيكسبك ثباتا يؤهلك لأن تتميز فتختلف عن غيرك"[33].

لقد حاول الدّكتور عبد الرّحمن وغليسي أن يبيّن ما وقع فيه خطيبي في هذه الرّواية من تبني للفكر الاستشراقي دون قصد، وهذا من خلال استدراج شخصيات محسوبة على الجهة الكولونيالية، وجعلها البؤرة المتحكمة في سير أحداث الرّواية، وقصد منها كما قلنا سلفا مراجعة التّاريخ وإعادة كتابته من منظور محليّ لتقوية التّمثيل الاستشراقي[34]، في محاولة تمرير نسق الهوية داخل الرّواية يقرّ خطيبي بالشّبه الكبير بين الرّاقصة خضراء المرأة النّايلية بهويتها الجزائرية، وإيزابيل الرّحالة المستشرقة التي عرفت بنقلها لتفاصيل حياة البسطاء؛ وبذلك حسب عبد الرحمن وغليسي فإنّ الروائي سعيد خطيبي يعجز عن تخيّل خضرة النّايلية دون استحضار شبح إيزابيل... لا يكف كذلك عن امتداح إيزابيل وتبييض صورتها[35]، وكل ذلك على لسان بطل الرواية جوزيف، وبهذا يظلّ الرّوائي تابعا للتّمثلات الكولونياليّة، فاللّعبة السّردية فلتت خيوطها من بين أصابعه، وتحوّل من تشكيل سرديّة صغرى مضادة؛ إلى سرديّة كبرى، منجرفا وراء التّابع دون قصد؛ فالسّرديات الصّغرى والكبرى كما دفتي الميزان؛ تتغلّب كفّة على الأخرى متى ما فُقد زمام الحكي وضعفنا أمام مغريات الآخر.

استطاع عبد الرحمن وغليسي بذلك أن يمسك بسعيد خطيبي وهو يقع في فخّ التّقليد والتّشبيه إنّ سنّة الاختلاف قديمة بل وميزة الإنسان، إلّا إذا تخلى عنها عندما يغرق في فكر الآخر تابعا مقلّدا مسلّما ذاته له يفقد حريته فينسى ذاته لأنّه ببساطة لم يكتشف هويته، ولأنّ تاريخ الإنسان للأسف في مجمله تاريخ لاوعيه[36]، وحسب رأي النّاقد فإنّ الكتابة الرّوائية هنا تمّت تحت تفعيل الأنساق المضمرة المتولّدة والمتجذّرة في اللّاوعي، فدفعت الرّوائي لتبني فكرة غالبا ما تتأتى هذه الأفكار من خلال القراءات للمستشرقين، والتّأثر بما ضمّنوه في كتبهم لقد وقع خطيبي ضحيّة قراءته الاستشراقية من جهة ومن جهة أخرى ضحية منظوره الاختزالي في نقد طرف والإعلاء من مرتبة طرف آخر حتما إنّ تأثر الرّوائيين بما حولهم يدفعهم لتبني كثير من وجهات النّظر، وكذلك أفكارا تتجمّع في العقل ليعيدوا صياغتها في لحظات الإبداع، فتنجب نصوصا تتّسم بالتّبعية للآخر، فمحاربة الغير بسلاحه لا تجدي نفعا مادام يدرك نقاط الضّعف والقوّة فيها، وعليه فالرّسالة لا تصل كما ينبغي لها أن تصل، وقضية الأنا/ الآخر تظلّ ملتبسة بعض الشّيء ولا يمكن الفصل فيها.

خاتمة:

1- استطاعت النّاقدة "سليمة مسعودي" تتبّع مسار سرديّة الهوية في مذكرات "خارج المكان" حيث استنطقتها بفطنة وحنكة الحكيم، وأدوات واستراتيجيات النّاقد المتبصّر، وقد ساعدها في ذلك إلمامها بالنّقد الثّقافيّ وتتبعها للأنساق المضمرة، في محاولة القبض على ما يواريه النّص السّرديّ، وبخاصّة أنّه حمل ذلك الكمّ الهائل من الأفكار عن حياة وفكر إدوارد سعيد، فهو ليس بالنّص السّردي المفتوح للعوام، وإنّما يتطلب ذائقة قرائية متمرّسة، ناهيك عن مقدرتها على تفكيك خطاب إيديولوجي نخبويّ سُكب في

قالب سرديّ سير ذاتيّ، وقد استطاعت الإجابة عن سؤال الهويّة وتشكلاتها بين الأمس واليوم، ومدى تقاربها اليوم من بعضها البعض، وخاصّة في ظلّ من انفتاح على الآخر، رغم أنّ العالم مازال خاضعا لنمط الأنا والآخر، الشّرق والغرب على أرض الواقع.

2- تمكّن عبد الرّحمن وغليسي للوصول للنّسق المتحكم في ملامح التّجربة الروائية لسعيد خطيبي، وملامسة سبب إخفاقه في تحرير التّابع في روايته "أربعون عاما في انتظار إيزابيل"، كونه عجز عن إيجاد سردية هوية خاصة متّفرّدة، ومختلفة عمّا كان سائدا، في السّرديات الكبرى، وبالتّالي استطاع عبد الرّحمن وغليسي أن يقارب الرّواية وفق رؤية الأنا/الآخر، بأن يتوقف عند تلك اليقينيات التي تعتمدها دراسات ما بعد الكولونيالية؛ بالحفر خلفها وتفكيكها، وفق ما تزخر به استراتيجيات النّقد الثّقافي، وخاصّة أنّ الرّواية تنضوي على أنساق ثقافيّة لا تخلو من التّاريخي والاجتماعي، وكذا الدّيني والسّياسي.

3- الرّواية ما بعد الكولونيالية تمارس النّسق الكولونياليّ، وتكرّس الهويّة الازدواجيّة؛ فهي على الرّغم من مناداتها بالتّحرّر والانفلات من هيمنة كلّ ما هو أوروبيّ، إلّا أنّ الحديث عن الغير في كثير من الأحيان يدخلنا في متاهة تمجيده دون وعي منا.

4- ساهم النّقد الثّقافي الذّي مارسه النّاقدان سليمة مسعودي، وعبد الرّحمن وغليسي في تعرية النّسق المضمر المتخفّي في روايتي "خارج المكان" و"أربعون عاما في انتظار إيزابيل".-تركّز الرّواية ما بعد الكولونياليّة على مجاراة بعض النّظريات النّقديّة المابعد نسقيّة، وتبني النّص السّرديّ وفق ثنائيات (الحضور، الغياب).

6- يقدّم التّأويل حياة جديدة للنّصوص على اختلاف زمن وجودها، من حيث البحث عن معنى المعنى، ومعنى لمعنى المعنى في تراتبيّة متصاعدة لا متناهيّة.

7- يساهم كسر أفق انتظار الجمهور في لعب الورقة الرّابحة للمراهنة على نجاح الرواية من عدمه.

قائمة المصادر والمراجع:

1- بلخامسة كريمة، استراتيجية التلقي في أعمال كاتب ياسين، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف الجزائر، بيروت، ط1، 2016.

2- بوعزة محمد، سرديات ثقافية، من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، منشورات ضفاف، الاختلاف، دار الأمان، الرباط، الجزائر، لبنان، 2014.

3- جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة، ط1، 2015، 23/ 2015/05.

4- دايفيد جاسبر، ترجمة وجيه قانصو، مقدمة في الهيرمينوطيقا، منشورات الاختلاف، ط1، 2007.

5- السرديات الكبرى، تاريخ الاسترداد 2022/12/3، من ويكيبيديا.

6- سلايمية يمينة، قضايا ما بعد الكولونيالية في الرواية العربية المعاصرة، المحرر: عبد الحق منصور بوناب، عنابة، كلية الآداب واللغات، الجزائر، باجي مختار، 2017.

7- عيساني بلقاسم، الجمالية والعلائق تهافت المنهج ونسبية المقاربات، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، الجزائر، بيروت، ط1، 2019.

8- غسان إسماعيل عبد الخالق، المتن والهامش مقاربات مختارة في الفكر والسياسة، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2018.

9- لومبا آنيا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ترجمة: محمد عبد الغني غنوم، اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2007.

10- وليد خالدي، فعل القراءة وما بعد الحداثة مقاربة نقدية في رواية اليربوع للكاتب حسين فيلالي (جمالية التلقي أنموذجا)، دار خيال للنشر والتوزيع، برج بوعريريج، الجزائر، 2020.

الهوامش

[1]- سلايمية يمينة، قضايا ما بعد الكولونيالية في الرواية العربية المعاصرة، المحرر: عبد الحق منصور بوناب، عنابة، كلية الآداب واللغات، باجي مختار، الجزائر، 2017، ص 2.
[2]- غسان إسماعيل عبد الخالق، المتن والهامش مقاربات مختارة في الفكر والسياسة، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2018، ص69.
[3]- لومبا آنيا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية. ترجمة: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2017، ص 56.
[4]- المرجع نفسه، ص57.
[5]- المرجع نفسه، ص57.
[6] - المرجع نفسه، ص57.
[7]- السرديات الكبرى، تاريخ الاسترداد: 3/ 12/ 2022، من ويكيبيديا.
[8]- بوعزة محمد، سرديات ثقافية، من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، منشورات ضفاف، الاختلاف، دار الأمان، الأمان، الرباط، الجزائر، لبنان، 2014، ص35.
[9]- المرجع نفسه، ص 46
[10]- لومبا آنيا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية. ترجمة: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2017، ص 158.
[11]- جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة، ط1، 2015، 23/ 05/ 2015، ص25 .
[12]- بلخامسة كريمة، استراتيجية التلقي في أعمال كاتب ياسين، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف الجزائر، بيروت، ط1، 2016، ص 327.
[13]- المرجع نفسه، ص 177.
[14]- المرجع نفسه، ص176.
[15]- المرجع نفسه، ص 177.
[16]- وليد خالدي، فعل القراءة وما بعد الحداثة مقاربة نقدية في رواية اليربوع للكاتب حسين فيلالي (جمالية التلقي أنموذجا)، دار خيال للنشر والتوزيع، برج بوعريريج، الجزائر، 2020، ص 84.
[17]- المرجع نفسه، ص83.
[18]- جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة ، مكتبة المثقف المغرب، 2011، ص53.
[19]- وليد خالدي، ص8.
[20]- المرجع نفسه، ص81.
[21]- عيساني بلقاسم، الجمالية والعلائق تهافت المنهج ونسبية المقاربات، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، الجزائر، بيروت، ط1، 2019، ص165.
[22]- دايفيد جاسبر، ترجمة وجيه قانصو، مقدمة في الهيرمينوطيقا، منشورات الاختلاف، ط1، 2007، ص119-120.
[23]- عيساني بلقاسم، المرجع نفسه، ص199.
[24]- بوعزة محمد، سرديات ثقافية، من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، 2014، ص41.
[25]- سليمة مسعودي، جدل السياقات والأنساق، مقاربات نقد ثقافية في السيرة الذاتية والسرد الروائي والعقل الديني، الجزائر، دار ميم للنشر، 2019، ص42.
[26]- المرجع نفسه، ص 15.
[27]- بوعزة محمد، سرديات ثقافية، من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، 2014، ص16.
[28]- مسعودي سليمة، جدل السياقات والأنساق، مقاربات نقد ثقافية في السيرة الذاتية والسرد الروائي والعقل الديني، الجزائر، 2019، ص 28.
[29]- مسعودي سليمة، جدل السياقات والأنساق، مقاربات نقد ثقافية في السيرة الذاتية والسرد الروائي والعقل الديني، الجزائر، 2019، ص33.
[30]- يونس عبد الحميد، الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، مكتبة عربية، ص 07.
[31]- سعد الله محمد سالم، الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، اللاذقية، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع، 2007، ص107.
[32]- المرجع نفسه، ص 163.
[33]- حياة أم السعد، العين الثالثة "تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي"، الجزائر، دار ميم للنشر، 2018، ص 89.
[34]- إيزابيل إبرهاردت، نحيب اللوز، ترجمة: حسن دواس، الجزائر، دار الأمير خالد، 2013، ص 11.
[35]- مجلة دراسات فلسفية، منطق الهوية والاختلاف (8)، أفريل 2017، ص 72.
[36]- حياة أم السعد، العين الثالثة "تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي"، 2018، ص 89.